

ناصر قنديل

قبل الصباحات المفعمة بالودِّ والحَبِّ والشهادة والعزّة والكرامة، وما تختزنه هذه القيم من حَقِّ وخير وجمال. وقبل الرياضيات التي تتلاعب بالكلام والمفردات فترشح حِكماً لأيام عابرة، يَأْتِي «المختصر المفيد» بالحديث عن الورطة التي وضع أردوغان نفسه فيها، بعدما تنكّب مهمة إطلاق الطلقة الأخيرة في الحرب الأميركية في المنطقة. ونختم «حديث الجمعة» بعددٍ من المشاركات البنّاءة، بمواضيع متنوّعة.

● بقيت حكاية الانتخابات التركية، التي كان فوز «حزب العدالة والتنمية» بالغالبية الكاسحة فيها لتكمنه من تشكيل حكومة مريحة، لغزا لدى المُقرّبين منه ومريديه، ولم تستطع واحدة من أصل خمسين شركة استطلاع رأي محلية وعالمية الاقتراب من نتائجها في استفتاء الناخبين. واضطرت منظمة الأمن والتعاون الأوروبية إلى اعتبارها فضيحة للديمقراطية لما رافقها من تجاوزات بحضور المال السعودي، وأسكات المعارضين واعتقال عشرات الصحافيين ومقدّمي البرامج التلفزيونية ذات الجماهيرية العالية، وإغلاق عشرات المواقع الإلكترونية، وست صحف وأربع قنوات تلفزيونية، وما رافق ذلك من كلام عن تدخل أميركي لدى جماعة فتح الله غولن المنشق عن حزب الرئيس التركي رجب أردوغان، الذي منح مؤيّدوه أصواتهم في حزيرانٍ لكلٍ من «حزب الحركة القومية» و«حزب الشعوب الديمقراطي»، ليمنحوها مرّة أخرى لحزب أردوغان، وحدث ذلك كله من دون تعليق أميركي مباشر أو غير مباشر على هذه التجاوزات، ومباركة أميركا النتيجة المفاجئة. كل ذلك وجد تفسيره بالدور الذي لعبته تركيا أردوغان في الاشتباك مع روسيا، بعدما كان المستنجد الوحيد الذي غير الاتجاه في التعامل الأميركي مع الانتخابات التركية، يتمثل بالاندفاع الروسية العسكرية في سورية قبل شهر من الانتخابات، والعودة الأميركية إلى خيار أردوغان بعدما بدا أنه تجاوز العمر الافتراضي لوجود حزبه في الحكم.

● الطلقة الأخيرة في الحرب الأميركيّة في سورية كانت من نصيب أردوغان، وقد أعيد إنتاجه انتخابيا ليتولى الضُغط على الزناد. فالحرّة الروسية التي فرضت على الأرض إيقاعاً متعدّد الاتجاهات أسكّت زمام المبادرة، وقالت «الامر لي». والصيغة السياسية التي فرضتها موسكو في فيينا، التي تربط مستقبل الرئاسة السورية بصندوق الاقتراع، وتحدّد طبيعة الدولة السورية الجديدة، بالدولة الموحّدة والعلمانية، أي إعلان نعي الأوصام والأحلام الأميركية والسعودية والتركية بصيغة فيدرالية أو إعادة تكوين طائفي للدولة، وترسم للإرهاب معادلة لا مكان فيها لتجديد كل منوعات تنظيم «القاعدة» التي تنام في حضان كل من تركيا والسعودية وقطر، والتي تتقدّمها «جبهة النصرة»

أيها الأبلهُ أردوغان!

أطلقت صفارة الإنذار لنهايتك بيدك أنت أيها الجبان الرعدي الغدار. ها أنت تعلن نهايتك. من داخل أرضك. مدافعنا يصاروخ معتدلا مدافع كما تراوغ وتدعي. فإذا كنت مدافعا فلماذا الخوف واللجوء إلى الاحتفاء. لا غرابة ولا عجب من خستك وتذللتك الخاطفة بتاريخك غير المشرف. ولكن أثار دهشتي واستغرابي، ذلك الهراء المهترئ الذي يلفخ من أنفاسك. عندما تكلمت عن الحدود وحق الحماية والدفاع عن أيّ اعتداء.

لا دراية ومعرفة لي في أن هذه المصطلحات موجودة في قاموسك الذي يترّف بدماه الأبرياء. هل هي إملاءات منقولة تلك الكلمات. أم هي من اعتداءاتك على تلك المصطلحات؟ أيها الغاصب المحتل الذي يخلج من شدّة عراك العار ذاته. تهاوت ألقاب الخسة كلها أمام خستك وضاعت الأوصاف كلها في وصفك. لينا لك من جاهل حادق أعمى البصر والبصيرة. مشاول العقل صغير الحجم والمكانة، كيف تجرّبوا على اللعب مع الكبار.

أنا متأكدة أنك لم تدرك حجم المصيبة التي أبلّيت نفسك بها. وانك تمنّى لو يرجع الزمن خطوة إلى الوراء. ولكن، وليس لاسلاف، فإنه قد فات الأوان. وأوانك اقرب إلى حيث يجب أن تكون منذ سالف الأزمان. صاروخ واحد لا ثان سوف يغيّر مجرى الأحداث. روح بريئة اضافت إلى شرف الشهادة شرفا. رسالة كتبها الدم الطاهر عن حرب ضدّ الإرهاب لا تتوقف داخل أرض وحدود ومكان. هو عطاء المقاومة لا مبادرة ولا خيار ولا تسوية سياسية. إنما هو امتداد الشرف والكرامة وسيادة المواقف والمبادئ التي ترفض الذلّ والخنوع والاستسلام.

لا أعلم كيف سيكون الردّ من جبايرة تهاوت أمام عنفوانهم كل التوقعات. إنهم القياصرة الروس.

فان ما يجري ليس فيلما سينمائيا. ولا حديث محتاجاً إلى التوثيق. إنها حقيقة تتصارع لإثبات الوجود. إنها حقيقة فهل اعتقد أردوغان أن أذكوبيته الواهمة تسقط الحقيقة بصاروخ واهم مجهول للغاية والاهداف؟ هل اعتقد أردوغان أنه قادر على قلب الموازين لإثبات وجوده المهزوز الذي ناله بمجرد أصوات كاذبة؟ ماذا يظنّ أنه فاعل؟ فهل أراد ذلك الصبي أن يتأل شرف سياسة القتل الواحد بذلك الصاروخ؟ أم أنه مجرد لغت الإنظار ليقول أنا هنا، ويجعل نفسه حديث الساعة؟

سأخصصر عليك أحمالك البالية. التي تمتك العظمة فقط في فراشك. خصّة رويها لنفسك قبل النوم ويبدأ جنون العظمة بنخر مثل النوس في نقاط ضعفك التي تشعرك بالذلّ والهامة، فتستيقظ في نومك مسرعاً لفعل ما كانت تملح عليك أحلامك. بطولية لا مثيل لها لو كان ثمنها الخسة والتذالّة. لو كانت خفاياها غدرا وجينا. فالظعن في الظهر سلاح الأوغاد. لو كانوا في رتبة سيادة. فالسيد هو من يمنح نفسه السيادة. وما أكثر أماكن السيادة التي تفترق لوجود أنبيادها. فتبقى مجرد مصطلح في السيادة.

اصح أيها الأبله. فليس في صوتك لنا فائدة. اصح كي تتلقى الضربة القاصمة.

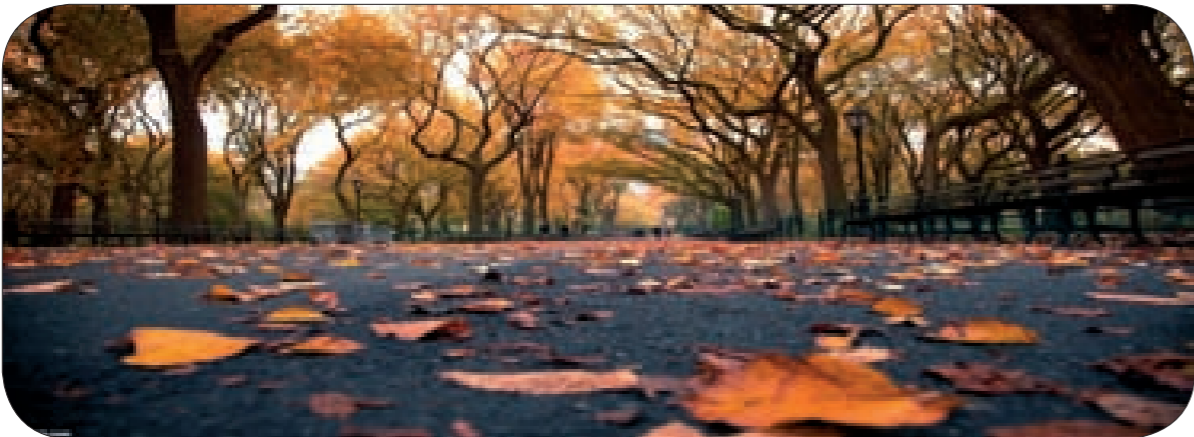
اصح فالنبواس على الأرض من حولك مرفوعو القامة. والنسور في السماء ستدوي في أذنيك نهاية لتلك الخراقة.

السوريون أسود يشربون النصر على مهل من كأس البطولة. وأنتم لكم العلقم المرّ. السوريون أصحاب القضية وأنتم حطام. ستثاؤون بنظرة أسدية وصخب بوتيتي. فماذا لو فعلت «السوخوي» أفعالها؟

اشقاؤنا الروس جراحكم جراحنا. قضيتنا واحدة. ورسالتنا سامية. واهدافنا صادقة. وعهدا أنكم أخوة لنا في الدم والشهادة.

البناء

حديث الجمعة



صباحات

● ثمة صباحات مشرقة وصباحات يغشوها الضباب. وفي الغالب يكون الضوء والعتم من داخلنا فرحاً أو قلقاً لأمر حدث، أو ترقباً لأمر سيحدث. فكيف إن كان لما حدث وما سيحدث، فيصير الضوء أو العتم مضاعفاً. فنشوا عمّا يضيء داخلكم ولا تخفوه عن ابتساماتكم. فذلك هو صباحكم الحقيقي.

● عندما تدعو صحيفة «برفاد» الروسية قطر وتركيا والسعودية إلى تدكّر اجتياح برلين لمعرفة ما يحدث عندما تتخذ روسيا قرارا بالحرب، ويذكر المقال قطر كيف طلبت روسيا من حكومتها تسليم قائد المتمرّدين الشيشان، ولما رفض طلبها كانت النتيجة أنه وُجد مقتولا. وتستطرد الصحيفة في الشرح لتقول في ختامه: يجب أن يعلموا أن الذعر قليل أمام ما ينتظرهم ما لم يفهموا. عندئذٍ، يحتاج وليد جنبلاط إلى من يعيد الصحف الروسية إلى ملخصاته الصباحية قبل أن يتسرّع.

● قالوا: عيد ميلاد فيروز و عيد الاستقلال معا. فقلت: إذا كان بين ميلادي 1958/11/24 والاستقلال الورقّي 1943/11/22 خمس عشرة سنة، لقلت زورُ الاستقلال ميلاده بسبع وخمسين هي عمري كلّه. لأنه مولود عام 2000، يوم التحرير. أما إذا كان بين ميلادي وميلاد فيروز يومان، ففرحت أن يصير ميلادي اليوم وأصير أكبر.

● أشرفت والله أشرفت، الشمس وحدها أشرفت، تقول الشمس إنها أشرفت في بلادها فاستيقظوا يا نيام. تقولها الأمّ لأولادها ويقولها الناس قبل إلقاء السلام. كلهم يقولون أشرفت. وأشرفت واحدة. وأشرفت صامدة. وأشرفت ساجدة. وأشرفت ابنة 16 ربيعا لم تصر بعد والدة. أشرفت شمسا وغسلت عارا سمّوه ربيعا، وصحّت ما شوّهته «القاعدة» و«داعش». أشرفت شمسا ونابلس مشرق بلادنا، وأشرفت أمسنا تلاقي اليوم عمادنا. والله أشرفت يا طه وقد صرت أبا للشموس، وأنت سمّيت طه لتكون والدا للعروس، وتكون استأذا يعطي المثال والدروس. بيت المقاومين عرين، بيت المقاومين فلسطين، دار تبسط كبيت طه فرح بالعروس والقلب حزين. تقريير المصير، فقزرت مصيرها وقزّرت مصير فلسطين، ومضت تلعن بسكينها ا تابه لسنينها، المهم أنها لبّت استغاثة فلسطينها. هكذا علم طه والكتاب. هكذا فعل الشباب، شهيدة هي شمسنا لكنّها أشرفت. أسد نابلس وأسد فلسطين، بورك العلم فيك وبوركت بالشهادة، ما نسيت وما تاهت حروف الأبجدية بين يدك بنون والقلم، على رغم الحزن والألم. بقيت تقول أسد الشام رصيدينا في العرين، السلام لسورية تعني في قاموس القضية سلاما لفلسطين.

● «أشرفت طه القبطاني» ابنة 16 سنة، ارتقت شهيدة بدهسها من قبل زعيم ماфия المستوطنين الصهاينة، وإطلاق النار عليها من حاجز حوارة بعد خروجها لظعن الجنود من منزلها في نابلس. والدّها الشيخ طه القبطاني مناضل ومجاهد فلسطيني عريق وعتيق، وعضو مؤسس في اللجنة الشعبية للدفاع عن سورية.

● نداء إلى حوامل سورية كلهن، لمّا تلدن هذه السنة، فليكن اسم البنات «أشرفت» تيمّنا به«أشرفت طه القبطاني»، التي استشهدت بعدما طلعت جنود الاحتلال. ورحبة لوالدها الشيخ طه الذي لم يتوقف مع حمل علم سورية مضامنا وداعما مصحّحا فهم الإسلام المشوّه، متمسكا بأن فلسطين لا ناصر لها بين العرب إلا الأسد والمقاومة. ترد سورية التحية وتقول أشرفت شمس النصر من نابلس، وتبقى الهوية والقضية فلسطين.

● أحببت عيد ميلادي لانكم جزء منه. نحبّ الصباح لشمس دافئة هي أنتم. وقبس نور يدخل القلب فينير العتمة. وهو بعض من قبس نور قلوبكم وعيونكم أحيأ به واعتاش عليه. لا أبغي غيره زاداً لما تبقى من الحياة، وزيتاً لقنديل يتقدّم الصفر ف ما استطاع لا يابه لمخاطر. همه واسمه أنه الناصر. يتوقن أنتم الحرف والصرف والرفع والضمّ والكسر وهمزة الوصل وفاصلة الفصل، والنقطة على السطر. أما الخط الأحمر فكرامتنا وعزّتنا، يرمز إليهما اثنان: أسد وسيد، وبوصلتنا باليقين تبقى فلسطين، والروح والقلب المجروح والفؤاد وحبّ البلاد، فانتهم ورمزها العماد والشهداء والوفاء والنقاء والصفاء، الحبّ لكم والسلام لكم والقلب لكم والعيد كل عيد بكم، يصير عيداً. فيكون بالأصل لكم ومنكم تصل البشارة يا أهل البشارة والنضارة والعبارة. ياظهر من ولد وأتقى من سجد وأشرف من وجد. لكم قلبي قنديلا فضعوا زيت حبّكم وأنيروه.

● يسكنون صباحي، واللبليل لبعضهم إناء. فهم وورد الدار وهم زوّار المساء. أحتيي لو تعب الوقت منهم ما تعبت منهم الأسماء. فهم قبلة الرضا التي أسعى إليها وهم شعبي وناسي وهم الرجاء. في كل فرح وحزن وفي كل عيد وكل أحياء. أراهم دقق قوارير طيب، وأشم رائحة العطر ويعغرنني الندف من وافر العطاء. كنهر وشلال حبّ وقارورة من زيت الياسيمين المصفى خبّأها الدهر لي من أيامي البضاء. لسواد إن أتى سيقون فيه لا تحدّ عزيمتهم حدود ولا يتقصصهم وفاة. هم فرس الرهان التي لا تخسر، وهم حصان الحرب الذي أبصر، وهم سفني وترسي وهم الريشة والحبر والدواة، والكلمات والقلم والدقتر. في لحظة الشوق ولحظة الوجد ولحظة الفرق ولحظة الوعد والعهد هم «أل» تعريفي ورفع حاجبي وبصمة السبابة وانحناءة الخنصر. لهم حبي وقلبي وقد غمرني فيض حنهم وما خبّأوا من كلمات وصفات ومصادقات ومفاجآت، حتى أحببت أن أكبر. فصرت بهم أكبر. وصار قلبي قنديلهم وحبّهم زيته الأخضر. فلكلكم ولكل منكم من حنايا الحشا قصفة حبق وشلّة صعتر.

رياضيات في الكلام

● الصدفة ليست حدثاً بلا أسباب، إنما حدث عاصف لا نفهم توقيت تقاطع أسبابه. وكثيراً ما تتغير مسارات أيامنا بفعل ما نسميه الصدفة. وعندما تتغير مسارات حياتنا نسميها القدر. والصدف قد تجلب الفرح أو القلق، لكن ثمة صدّف مزدوجة تجلب الفرح والقلق معا، فنرتبك أمامها. وفي الخفاء ربما نعترف أننا أردنا الصدفة أن تقع قبل أن تقع. أو أننا على الأقل كنا نخشاها ولا نتفادها. ليس معيباً أن نرسم أقدارنا وأن نخفف وقعا علينا وعلى سوانا بتسميتها صدفاً عجيبه.

● يحتفل أهل الاستقلال بالعيد بمصادر قوتهم، أما الذين يتباهون بالضعف فمماذا يحتفلون؟

● عامل النظافة في الوطن والجندي والمقاوم، أول من يحتفل بالاستقلال. أما زبّال نيويورك فليحتفل بعيد ميلاد فيلتمان... وإلى أين؟!!

نسيئات

هل تدرك معنى أن تكيي بلامدوع؟ وأن تسيل روحك ذوب شموع؟ يعترضك الحنين، تحترق المأ. في قاموس الزمن لارجوع؛ تنظر في المدي، بغريك الفجر، تشعرك أنك البزوغ. تتأجيك أطياب، أطياب ناس رحلوا، وقد فزلوا في نفسك نذراً من خشوع. في أي شجن أنت؛ بل أين أنت؟ في هذا الخضمّ، تدور وتدور. درب واحدة، وإن تاهت بك الفروع؛ نسيئات من دفء، من حبّ، من رجاء، ما هي الشمس تؤذن بالطولع.

سحر عبد الخالق

«ياخونت» المتطوّرة ضدّ السفن. ومنطقاً أن أميركا التي تهيّبت المواجهة وهي آتية إليها، لن تعود إليها وقد صارت روسيا في جهوزيتها الكاملة. وفي المقابل، روسيا التي لم تهّب المواجهة، وبادرت إلى التعبير عن عزيمتها. وأميركا في ذروة الجهوزية، لن تهيبها وهي في قلب سورية. فصار المنطقي توقع أن تستخدم واشنطن من يطلق بالإناية عنها هذه الطلقة وتجعله شريكاً في الأرباح إن حقق فوزاً، وتدعه يحصد الضائائر إن وقع في الحفرة.

● أطلق أردوغان طلقاته وهو بعضٌ أصابعه ندماً ويقول لو كنت أعلم أن الطائرة روسية لما فعلت. بعد يومين من العنتريات، غابت خلالها كل اللغة التي فتتح أبواب التراجع، وروسيا تلقّت بكل وضوح الرسالة وردت عليها بتصعيد الحرب حتى الحدود التركية، ووضع ما سناه الأميركيون والأتراك بشرطيّ حدودي

يمتد من البحر إلى جرابلس في ريف حلب تحت النار، بينما يتقدّم الجيش السوري لاكتساحه وتنظيفه من كل وجود للجماعات التابعة للأميركيين والأتراك والسعوديين من مخلفات «القاعدة»، وتعلن روسيا نشر منظومة استراتيجية لصواريخ «أس 400» التي تعادل إعلان حظر جويّ فوق الأجواء السورية كلها. وها هي روسيا تنضي في تدفيع تركيا ثمن فعلتها وفق روزنامة حرب ناعمة اقتصادية وأمنية بحاور متعددة، حتى ينتهي أمر تنظيف الخط الحدودي ليتفرّع الروس للانتقام بهدوء.

● سقط مشروع الأخونة الذي قادته تركيا في المنطقة، وتحقّق الأميركيون من ذلك فوقوعا على وثيقة دفن المشروع في مصر وتونس وسورية واليمن. وكانوا على وشك توقيع مشابه في تركيا لولا الحاجة التكتيكية إلى هذه الطلقة الأخيرة التي كان يفترض بارودغان أن يتولّاها، وها هو يفعل معلنا نهاية فاشلة للمهمة، ولكن معها نهاية حقيته الممدّدة، التي بدأ العدّ التنازلي لها في أيامها الأولى، مع نهاية مهمته الأخيرة.

ناصر قنديل

*ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشروق» التونسية و«الثورة» السورية.

يا نخبية أمهم!

ولقد اقتنع مباشرة أنّ الجهاد واجب، حين علم أنّ الأفغان يرزحون تحت الاحتلال الروسي الفلحد، وأنه لا بد من عودتهم إلى الإسلام. وأصبح هناك أميراً بعدما كان نكرة لا يابه له أحد، وشارك «بكل فخر» في تدمير ذلك البلد الجميل وفي إعادته إلى حظيرة المتخلفين، ليكون في بزّ الإيمان من «الإحاد والمُلحدين». هذا نموذج يُمثل بشكل كبير الشريحة الكبرى لمن سارعوا إلى تلبية نداء «الجهاد»، إلى سورية للهدف نفسه، وبالعقلية نفسها، والحبّة السابقة نفسها. ولكن مع دعم أكبر بالسلاح والإعلام، إضافة إلى كرم مشايخ الفتنة في توزيع المكافآت وصكوك الغفران وجوازات السفر لجنّة تملؤها الحوريات البكر. ولن ننكر أنّ تجارة الدين من أتجح التجارات وأكثرها ربحاً عبر العصور. وقد امتلك التجار الخيرة في غسل الأدمغة وملئها بالهراء المعتاد، واحترفوا استغلال الأزمتا كي يصلوا إلى البرج باني طريقة ممكنة. ولا يهمهم في طريقهم إلى غاياتهم الوسطة مثلهم، أيّ بلد يدمرون أو الخراب الذي ينثرون، ويعتاشون على العلم، الذي يعيش في النفوس، وهو ما يجعل مهمتهم أكثر سهولة. ما يهمّ حقيقةً، أنّ سورية أرض طاهرة لا تقبل التدنيس ولا النجاسة. وشعبها يرفض العبودية ولا يقبل بند «الأخونجية» الأهمّ وهو «السمع والطاعة». فلقد خلّفنا أحراراً وسنوتم أحراراً ونحن ندافع عن حقنا في بيئة خالية من التطرّف والتخلف. ولن يكون لهم موطنٌ قدم بيننا، والغد لناظرهم قريب، وسيعرف المرتزقة الآتون لقتلتنا أنهم جاؤوا إلى حتفهم بكل تأكيد. صباح وطن يستحقّ الوفاء. صباح جيش يستحقّ النقة. صباح شهداء يستحقون الخلود.

وفاء حسن

مختصر مفيد*

أردوغان الذي أعيد إنتاجه: الطلقة الأخيرة في الحرب الأميركية

الفرع الرسمي لتنظيم «القاعدة»، وتعتاش على المال القطري والسعودي، وتأنس بالدعم العسكري من الاستخبارات التركية، وتجاهر «إسرائيل» بالتعاون معها. وبعد الوقائع كلها التي فرضتها روسيا وصار التعامل معها كأمر واقع، الطريق الوحيد للحفاظ على قدر ولو شكلي من الشراكة في الأزمة السورية، كانت واشنطن تحتاج إلى طرف منتهي الصلاحية كأردوغان تستخدمه كما تستخدم الحكومين بالإعدام في العمليات الخاصة لاستخباراتها، وتفاوضهم كما تفاوض معتقلي «غوانتانامو» الذين تعرض عليهم الإفراج لقاء انخراطهم بمهام قذرة كالقتال في ليبيا وسورية. لكن جنون الغمظة لدى أردوغان لم يجعلها تحتاج إلى هذه الاشتراطات. فهو جاهز ومنذر للطلقة الأخيرة موهوما بأنه السلطان الذي لا يرده له طلب، فكانت طلقاته الأخيرة.

● توقيت الطلقة التركية جاء في أعقاب تطوّرين هامين. هما: تقدّم الجيش السوري وحلفائه بغطاء جويّ روسيٍّ إلى محاذاة الحدود التركية من جهة جبل التركمان بعد دخولها إلى جبل الزاوية ومواصلتها حربا بلا هوادة ضدّ كل من ربيّتهم واشنطن على ملعفا من منتجات «القاعدة» والبستهم ثوب «المعارضة المسلحة»، وأوكلت إلى تركيا والسعودية رعايتهم، والتطوّر الثاني كان القمة التاريخية التي جمعت الزعيمين الروسي فلاديمير بوتين والإيراني السيد علي خامنئي، وما نتج عنها من تفاهات تتصل برسم خريطة المنطقة الجديدة انطلاقاً من سورية، والضرب بعرض الحائط بالمنوعات الأميركية المتّصلة، خصوصاً بدور حزب الله وسلاحه وحجم قدراته ومكانته في لعبة المنطقة المقبلة، والرسالة الأميركية عبر الطلقة التركية واضحة، وهي تقول لروسيا: توقفوا لتفاهم على الأحجام والأدوار والإلا.. ولأن واشنطن ليست قادرة ولا جاهزة لخوض المواجهة مباشرة، وهي التي كانت أساطيلها في البحر المتوسط تهذد وتتوغّد وتحدّد موعد ضرب سورية بذريعة قابلة للتسويق عنوانها الاتهام باستخدام السلاح الكيميائي، وعادت بلا حربها عندما أسقطت روسيا لها صاروخي الاختبار الأوّلين، وأعلنت تشغيل محطات الإنذار الميكري في سيبيريا ضدّ الصواريخ الباليستية وربطها بالذافات النوخي التي تسلّمت صواريخ

يُحكى أن عاملين في شركة بناء أرسلتهما الشركة من أجل إصلاح سطح إحدى المبانيات. وعندما وصل العاملان إلى المصعد، شاهدا لافتة كتب عليها المصعد معطل. فتوقفوا للحظات يفكران في ما يفعلانه. لكنهما حسبا أمرهما سريعا بالصعود على الدرج، على رغم أن العماراة مؤلفة من أربعين طبة، كما أنهما سيحملان المعنّات لهذا الارتفاع الشاقق ولكنها الحماسة... فليكن.

بعد جهد مضن، وعرق غزير، وجلسات استراحة كبيرة، وصلا إلى غايتهما. هنا، التفت أحدهما إلى الآخر وقال: «لدي خبران أودّ الإفصاح لك بهما. أحدهما ساؤ والآخر غير ساؤ». فقال الثاني: «اعطني السابؤ»، فقال له الأول: «أبشّر، لقد وصلنا إلى سطح

البنائية أخيراً». قال الثاني بعدما تنهد بارتياح:«رائع لقد نجحنا، إذأ، ما الخبر السبي؟».

فقال له الأول مغتافلاً:«هذه ليست البنائية المقصودة!!».

بالنسبة إلينا، لدينا خبر جيد لأصحاب «الغورة» والحرب على سورية، وخبر سيئٍ ماحق. فاما الخبر الجيد، أنهم قد نجحوا في حشد عشرات الألاف من المهجيين والقلة والمترزة، ونجحوا في إيصالهم إلينا من كل أصقاع الدنيا ومن كل فجٍ عميق. وهم يحملون عتادهم وأسلحتهم الفتاة، وحقدهم المبكوت لقرون طويلة. أما الخبر السيئ، فإنهم قد أخطأوا في الوجهة وفي الأرض، وأخطأوا في الشعب المستهدف!!

كنت اقرأ كتاباً يدعى «ولادة العرب الأفغان» لأحد الذين لبّوا النداء له الجهاد في أفغانستان، لإقناعنا من «الإحاد»، وأوضح كاتبه أنه كان في العشرينات بلا عمل في الجزائر، حين قرأ عن دعوات الجهاد. وانطلق مباشرة يجتاز المسافات الشاسعة مع اعترافه بأنه لا يعرف شيئاً عن البلد المقصود، ولا عن شعبه.

ناكث الوعود

إلى من نكث وعوده كلَّها، وزاح مرور الزمن عنه قناعه. لم تجر عينونا مغفصة. هل كان كرهاً أو حقداً دفيناً؟ تنفخ في اللهب الخادم، وتدفع بعناد الحياة إلى الدمار. كتل مبهرج ينشر الظلام، ويسكب القذاعة على الإنسانية.

بيد الجنائزية جلعت الموت عنيباً. ماذا لديك لتقول؟ ربما هذه الطريقة التي بها تهيم؛ لكن الخريف ينتزع عن الأشجار المتفاخرة أوراقها. ويقطع عن أنهر الدماء منابعاها. لم تحطلي طلقة واحدة منك القلب. فاصغ. الرصاص في صدورنا يصرخ للانتقام.

اعلم أنّ من ذاق طعم الوطن، يدافع عنه ولا ينام. أبداً لن نصدق اعتذارك. وإن خدعتنا الحياة وكان الحاضر كئيباً، فالقلب سيجيا في المستقبل. كل شيء سيمضي، ويصبح أجمل.

وأشهد الآن، إنّ قنديل النصير. وراء الرأس شامخ، وأكاليل الغار ستعلا المكان.

رانيا الصوص